تراث الإنسانية

الانيــادة

لفرجيــل



الهيئة
المصرية
العامة
للكتاب

د . إبراهيم سكر

مهرجان القراءة للجميع ١٩٩٤

الإنيادة

الانيادة

لفرجيل

د. إبراهيم سكر



مهرجان القراءة للجميع ٩٤

مكتبة الأسرة

(تراث الإنسانية)

الجهات المشتركة :

جمعية الرعاية المتكاملة

وزارة الثقافة (هيئة الكتاب)

وزارة الإعلام

وزارة التعليم

وزارة الحكم المحلى

المجلس الأعلى للشباب والرياضة

الانجاز الطباعى والفنى

محمود الهندى

مراد نسيم

احمد صليحة

المشرف العام

د . سمير سرحان

الانيادة
لفرجيل
د . إبراهيم سكر

يحتل « فيرجيل » فى الأدب اللاتينى نفس المكانة التى يحتلها « هومر » فى الأدب اليونانى ، كما تحتل ملحمته « الانيادة » نفس المكانة التى تحتلها « الالياذة والأوديسا »، وفيرجيل هو أعظم شعراء عصر « أوغسطس » ، وخير شاعر يمثل هذا العصر ويعبر عن أحلامه وأمانيه ، كما أنه أكثر الشعراء اللاتينيين تأثيرا على الأجيال التالية ٠

اننا لا نعرف عن حياة « فيرجيل » الا القليل ٠ ومن هذا القليل ، الذى اتفق عليه معظم المؤرخين والرواة (١)

---

(١) ان المصادر الأولى لحياة فيرجيل المستقاة من الرواة القدماء قد جمعت فى No. 72 of Lietzman's Kleine Texte (Bonn, Weber, 1911) p. 237, n. 6.

وهى تعتمد أساسا على دوناتوس ، فوكاس ، سيرفيوس ، بروبوس وغيرهم ٠ قارن ٠
Rose, A Handbook of Latin Literature p. 237, n. 6.

كما يمكن الرجوع اليها أيضا فى : J. Brummer, Vit. Verg, 1912

أنه يدعى بوبليوس فيرجيليوس مارو — « Publius Vergilius Maro » ولد فى الخامس عشر من شهر أكتوبر عام ٧٠ ق.م. أثناء قنصلية « جنايوس بومبيوس ماجنوس « Gnaeeus Pompeius Magnus » . « وماركوس ليكينيوس كراسوس Marcus Licinius Crassus وذلك فى قرية « أنديس — « Andes » ، التى تبعد ما يقرب من ثلاثة أميال رومانية عن « مانتوا « Mantua » احدى مقاطعات « جالياكيسالبينا — « Gallia Cissalpina » ، أى بلاد الغال الواقعة جنوب الألب المتاخمة لشمال أيطاليا . وقد أصبح يوم ميلاد فيرجيل فيما بعد عيدا يحتقل به الشعراء والأدباء كل عام (٢) .

لم يكن « فيرجيل » اذن ، بحكم مسقط رأسه ، مواطنا رومانيا ، فلم تتمتع المقاطعة التى تنتمى اليها قرية « أنديس » بالحقوق الرومانية الا بعد أن بلغ « فيرجيل » عامه الحادى والعشرين (٣) . ومن ثم فقد قال البعض أنه من أصل غالى أو من أصل أترسكى .

أما عن عائلته فقد حاول بعض النقاد المحدثين (٤)

---

(٢) قارن : Martial, XII, 67.

(٣) قارن : A.S. wilkins, Roman Literature, p. 70.

(٤) انظر : M.L. Gordon in Journ. Rom. Stud., 1034, pp. 1-12 ; Cited in Rose, op. cit., p. 238, n. 7.

أن يثبت أنها كانت تحتل مركزا محليا هاما ، اذ يبدو أن أمـه « بولا ماجيـــا Polla Magia » (٥) كانت تنتمى الى اسرة منتشرة فى ايطاليا ، وتتمتع بمركز مالى لا بأس به ، وقد ذهب البعض أن الاسم « ماجيا Magia » المشتق من كلمة « Magus » بمعنى ساحر ، كان من العوامل التى ساعدت على خلق الاعتقاد ، الذى ساد فى القرون الوسطى ، بأن « فيرجيل » كانت له قدرة عجيبة على سحر (٦) . وأما أبوه فقد كان ينتمى الى طبقـة الفلاحين (٧) ، ويبدوا أنه كان يعمل فى بادىء الأمـر أجيرا عند والد زوجته المدعو « ماجيوس Magius » : وقد استطاع بجده ونشاطه واخلاصه فى العمل أن يكسب ثقته وعطف مخدومه الذى زوجه ابنته ، وساعده على تكوين حياته الخاصة ، اذ اننا نسمع بعد ذلك أنه قد أصبح لوالد فيرجيل أرضه الخاصة ، ولا ندرى على

---

(٥) انظر :

Probus : 'Natus ... matre Magia Polla, cited in Brummer, op. cit., p. 83 ; Focas : 'Mater Polla fuit Magii non infima probes', cited in Brummer, op. cit., p. 50.

(٦) انظر :

J.W. Duff, Literary History of Rome, to the clo e of the Golden Age, p. 319.

(٧) قارن :

Probus, § Patre Vergilio rustico', in Brummed, op. cit., p. 83 ; cf. Macr. Satur. V. 2. 1.

وجه التحديد كيف ألت اليه ملكية هذه الأرض ، هل هى ثمرة مجهوده وكفاحه ، أم أنها آلت اليه كمهر لزوجته ، أم أنه ورثها بعد وفاة والد هذه الزوجة · على كل لقب شب فرجيل فوجد أن أباه يمتلك أرضا ، وقد كانت هذه الأرض سببا فى تدعيم علاقة فيرجيل بكثير من رجالات العصر ·

ان شخصية كشخصية « فيرجيل » ، حظيت بمثل ما حظى به من مجد وشهرة ، لم تكن لتترك دون أن ينسج حول ميلادها الكثير من الروايات والأساطير · تحكى احدى هذه الروايات أن والدة « فيرجيل » رأت فى منامها ، وهى حامل ، أنها تلد غصنا من الغار ، ما كاد يلمس الأرض حتى انغرس فيها ونما وترعرع بسرعة عجيبة ، حتى تحول الى شجرة يانعة تحمل مختلف الثمار والأزهار (٨) وتكمل هذه الرواية رواية أخرى تقول بأن والدة « فيرجيل » ، بينما كانت تسير مع زوجها فى اليوم التالى لرؤية الحلم ، جاءها المخاض فجأة ، فانتحت جانبا من الطريق ووضعت وليدها فى أخدود (٩) وتروى رواية ثالثة بأنه طبقا للطقوس المتبعة ، قد زرع فى مكان ميلاد « فيرجيل » غصنا من شجر الحور ، وقد نما هذا الغصن

---

(٨) انظر : Donatus, in Brummer, op. cit., p. 1.

(٩) نفس المرجع ص ٢ ·

بصورة عجيبة ، حتى أصبح ارتفاعه يربو على أشـجار الحور التى زرعت منذ أمد بعيد ، وقد سميت هذه الشجرة « شجرة فيرجيل » وكانت النساء الحوامل يبجلنها ويتبركن بها ويقرأون أمامها بعض الأدعية والصلوات (١٠) وهناك رواية أخرى تقول أن « فيرجيل » ، عندما أبصرت عيناها نور الدنيا ، لم يصرخ كما يصرخ الأطفال عادة سـاعة ميلادهم ، بل كانت تتجلى على وجه نظرة وضاءة لطيفة توحى بالأمل المعقود على مصير هذا الطفل (١١) وسواء صحت هذه الروايات أم كانت من نسج الخيال ، فهى دلالة واضحة على مقدار ما كان يحظى به الشاعر من اعزاز وتقدير ·

لقد نشأ « فيرجيل » وتربى فى بيئة زراعية بين المراعى والأحراش (١٢) وقد ظهر أثر هذا بوضوح فى مواضع كثيرة من أعمـاله ، وعلى الأخـص الرعويات والزراعيات · وقد وافقت العشرون سنة الأولى من حياة « فيرجيل » تلك الفترة الخطيرة من تاريخ روما ، أعنى فترة الحروب الأهلية الأولى التى اندلع لهيبها بين حزبى

---

(١٠) نفس المرجع السابق ص ٢ ·

(١١) نفس المرجع السابق ص ٢ ·

(١٢) قارن :
Macr. Satur. V. 2, 1. ... 'rusticis parentibus nato inlo inter silvas et frutices educto'.

« ماريوس » و « سولا » ، وكذلك النضال الرهيب بين « قيصر » و « بومبى » . وعندما كان « فيرجيل » صبيا فى الحادية عشرة من عمره جاء « قيصر » ليحكم الولاية التى تضم « جاليا كيسا لبينا » ، حيث تعود « قيصر » أن يمضى فترة الشتاء ، وقد انضمت هذه الولاية الى « قيصر » ، أثناء نضاله مع « بومبى » : ومن المؤكد أن « فيرجيل » قد وقع تحت تأثير سحر تلك الأسرة العظيمة ، أسرة يوليوس قيصر ، التى أشاد فيرجيل بأمجادها فى أخلد ملحمة كتبت باللاتينية ، أعنى « الانيادة » (١٣) .

ويبدو أن والد « فيرجيل » لم يدخر وسعا فى سبيل تعليم والده ، كأحسن ما يتعلم أبناء طبقة النبلاء . فبعد أن أتم «فيرجيل » مرحلة التعليم الأولى فى قريته وكان قد بلغ الثانية عشرة من عمره ، أخذه أبوه الى «كريمونة « Cremona » ليتلقى ما يعادل مرحلة التعليم الثانوى عند مدرس الأدب grammaticus » ، حيث تمكن من دراسة الأدب والشعر اللاتينى دراسة مستفيضة ابتداء من « انيوس » الى « كاتولوس » ؛ وقد مكث فى « كريمونا » حتى بلغ السادسة عشرة من عمره ، وارتدى زى الرجال « toga virilis »

---

(١٣) قارن : Wikins, op. cit., pp. 78-79.

ثم رحل الى « ميلان » ، عاصمة الولاية فى ذلك الوقت ، طلبا فى المزيد من العلم ، حيث تعلم اليونانية على يد من يدعى « بارثينيوس البيثينى Parthenius of Bithynia »

وقد ساعده ذلك على قراءة روائع الأدب الاغريقى فى لغتها الأصلية ، وبخاصة « هومر » ، « وهيسيود » ، و « ثيوكريتوس » ، و « أبو للونيوس الرودى » ، الذين كان لهم أكبر الأثر على شعره · ويبدو أن « فيرجيل » لم يجد فى « ميلان » ما يشبع نهمه فى تلقى العلم ، لذلك فانه لا يمكث بها الا فترة قصيرة لا تزيد عن السنتين ، ارتحل بعدهما الى روما ، التى كانت تعج فى ذلك الوقت بالأساتذة من كل علم وفن ، لينهل من علمهم وأدبهم ·

كان على أى فتى طموح أن يختار بين احدى المهنتين الأساسيتين فى ذلك الوقت العسكرية أو المدنية · وقد اختار « فيرجيل » ، لرقته وضعف صحته ، المهنة الثانية · ومن ثم فقد كرس جهده فى بادىء الأمر للتدريب على الخطابة ، ليصل الى ما وصل اليه « شيشرون » من بلاغة وفصاحة رفعته الى قمة المجد والشهرة · وعلى الرغم من أن « فيرجيل » قد تلقى تعليمه وتدريبه على يد واحد من أفضل أساتذة العصر ، أعنى « ايبيديوس ــ حيث كان يرافق « فيرجيل » فى الدراسة « قيصر

أوغسطس » نفسه (١٤) ، الا أنه لم يحرز أى تقدم ملحوظ فى هذا الميدان ، فلم يترافع أمام القضاء الا مرة واحدة لم تتكرر . ويبدو أن حياءه الطبيعى وخجله ورقته كانت عقبة كأداء تسد عليه هذا السبيل . وعلى كل فاننا نجد آثار هذا التدريب على الخطابة فى خطبه التى جاءت فى « الأنيادة » ، كما نجد أيضا ، وعلى الأخص فى الكتاب الرابع من الأنيادة » ، آثار واضحة لتلك المحسنات البلاغية ، التى تركت أثرا عميقا على الأدب فى القرن التالى . ومن ثم فقد ترك « فيرجيل » هذا الميدان عن طيب خاطر ، واتجه لدراسة الفلسفة ؛ وكان أستاذه الأول فى هذا الاتجاه الفيلسوف الأبيقورى المعروف « سيرو ـ Siro » (١٥) .

ويبدو أن « فيرجيل » قد درس أيضا الطب والعلوم الرياضية بما فى ذلك الفلك ، فان سعة اطلاعه تبدو جلية واضحة خلال أعماله ، حتى لقد استحق بجدارة لقب

---

(١٤) انظر :
Probus, II. 6-7 : 'Ut primum se contunt Romae, studit apud Epidium oratorem cum Caesare Augusto.' Cited in Brummer, op. cit., p. 67.

(١٥) قارن :
Catalept., 5, if genuine of Vergil, (no ad beatas vela mittimus portus/magni petentes docta dicta sironis,/ vitam ab omni vindicabimus cura) cited in app. Verg. of O. Ribbech, 2nd. ed. 1895.

« العليم — doctus ذلك اللقب الذى أطلقه عليه كل شعراء عصره (١٦) . وفى الجزء الثانى من « الزراعيات » فقرة (٤٧٥ـ٤٩٢) يتجلى فيها اعجاب « فيرجيل » الشديد بدراسة العلم والفلسفة ، فهو يقول فى ختام هذه الفقرة : (٤٩٠ـ٤٩٢) .

« سعيد من استطاع أن يعرف علة طبيعة الأشياء . وطرح تحت قدميه كل المخاوف والقدر المحتوم وضجيج أخيرون الشره » .

وبعد أن أتم « فيرجيل » تعليمه ، عاد الى مزرعة أبيه ، وقد مكنته طبيعته ، التى يغلب عليها الخجل والحياء ، أن يعتزل الناس ويعكف على الاطلاع ومحاولة قرض الشعر . ومن المحتمل أن تكون بعض القصائد القصيرة ، التى ينسبها البعض الى « فيرجيل » مثل Culex, Dirale, Moretum. ثمار تلك الفترة المبكرة من حياة الشاعر الأدبية .

وعلى أية حال ، فان أول معلومات أكيدة تصلنا عن شعر « فيرجيل » يرجع تاريخها الى حوالى عام ٤٢ق.م ، بعد هزيمة قتله « قيصر » فى معركة « فيليبى » وانتقال

(١٦) انظر :
T.E. Page, Aen. VI intr. p. V. Ellis., Catalept, 35.

العالم الرومانى الى يد الحكومة الثلاثية المؤلفة من « أوكتافيوس » ، « انطونيوس » ، « ليبيدوس » · لقد وعد المنتصرون جنودهم (١٧) بأرض كثير من المدن الايطالية ، من بينها بلدة « كريمونا » والحدود المجاورة لها بما فى ذلك بلدة « مانتوا » (١٨) ومن الطبيعى أن تقع مزرعة والد « فيرجيل » تحت طائلة هذه المصادرات · ولكن الشاعر الشاب « فيرجيل » ، كان قد حظى برضاء « جايوس أسينيوس يوليو « Gaius Asinius Poliis » الذى كان يحكم ولاية « جالياكيسا ليينا » عام ٤٢ ق·م ، وكان هؤلاء الآخرين أدباء وشعراء (١٩) كما حظى برضاء خليفته فى الحكم وهو « ألفينوس فاروس « Alfenus Vaus » (٢٠) وكانا من أعضاء لجنة توزيع الأراضى على الجنود ، فالتجأ اليها طالبا المعونة ، فنصحناه بأن يلجأ الى قيصر الشاب فى روما وفعلا يمهد له « يوليو »

---

(١٧) قارن الدعويات ١ ، ٧١ :
"Inpius haec iam novalia miles habebit

وانظر أيضا الرعوية ٩ ، ٢ — ٦ ·

(١٨) انظر الرعوية ٩ ، ٢٧—٢٨ :
Vare, Tuum nomen, superet modo Mantua nobis,/Mantua voe miserae nimium Vicina Cremonae.

(١٩) قارن هوارس ، ص ١ ، ٢ ، وقد تغنى فيرجيل بالثناء عليها فى الرعوية دراسة ، كما اهدى اليه الرعويات المبكرة · قارن الرعوية ·

(٢٠) وقد تغنى فيرجيل بالثناء عليه فى الرعوية السادسة ·

سبيل اللقاء باوكتافيو (٢١) ، والأمر الذى ساعده فى الحصول على قرار باسترداد مزرعة أبيــه • وقد عبر « فيرجيل » عن امتنانه وعرفانه بالجميل للحاكم الشاب « أوكتافيوس » وذلك فى رعويته الأولى : (٦ـ١٠) •

« أى ميليبويوس ، إن من منحنى هذا النعم لهو إله ، وسيظل فى نظرى الها دائما ، ذلك الذى سيزوى مذبحه دائماً دم حمل وديع من حظائرنا • فهو الذى سمح لى بأن أعزف على ناى الخشبى ما طاب لى من ألحان » •

وذلك ردا على قرار « أوكتافيوس » باعادة الأرض اليه ، ذلك القرار الذى جاء فى نفس الرعوية على لسان « فيرجيل » كما يلى :

« أطلقوا الأبقار فى المرعى ، كما كنتم تفعلون من قبل أيها الغلمان • وارسلوا الثيران » (٢٢) •

ومنذ ذلك الوقت عاش « فيرجيل » بين روما ونابلى ، حيث نظم فيها كتبه الأربعة عن الزراعيات (٢٣) ، التى

---

(٢١) انظر :
Schol. Dan. on Ecl. p. 10 'carmina quibus sibi Pollionem interessorem apud Au gu tum concilianeat Cited in T.E. Page, Bucotics, intr. p. XIII, n. 1.

(٢٢) الرعوية الأولى • : ٤ •
'Pascite ut ante inves. submittite touros'.

(٢٣) قارن الزراعيات ، ٤ ، ٥٦٢ـ٥٦٤ •

استغرقت ما يقرب من سبع سنوات (٢٤) (من ٣٧ – ٣٠ ق٠م٠) ٠ وقد أصبح واحد ممن يتمتعون بعطف ورعاية وصداقة امبراطور المستقبل ؛ كما أن الرعويات ، التى كتبها فى ثلاث سنوات تبدأ من حوالى ٤٢ ق٠م قد أكسبته بعض الشهرة ، ولفتت اليه نظر « مايكيناس Maecenas » الراعى الأول للفنون والآداب فى ذلك الوقت ووزير « أوغسطس » ؛ وكان يجتمع فى قصره على تل « اسكويلينى » جماعة من الأدباء الممتازين ٠ وقد أصبح « فيرجيل » أحد هذه الجماعة ، بعد أن قدمه « بولليو » الى « مايكيناس » ٠ « وفيرجيل » هو بلا شك الذى قدم بدوره الشاعر « هوراس » الى ذلك الوزير (٢٥) ٠ وقد ظل « هوراس » يحتفظ له بهذا الجميل ، الذى وطد العلاقة بين الشاعرين ، حتى لقد كان « هوراس » يعتبر « فيرجيل » نصف روحه « animae dimidium » (٢٦) ، ويضعه فى منزلة أعز الأصدقاء ، كواحد من تلك الأرواح التى لم تر الدنيا مثلها فى النقاء والطهارة (٢٧) ٠

---

(٢٤) انظر :
Donatus, vit, 'Bucolica Triennio, Georgica VII, Aeneida xi perfecit annis).

(٢٥) انظر هوراس ، الهجائيات ، ١ ، ٦ ، ٥٤ ، قارن :

(٢٦) انظر هوراس الأغانى ١ ، ٣ ، ٨ ٠

(٢٧) انظر هوراس ، الهجائيات ١ ، ٥ ، ٤ ٠

لقد أمضى « فيرجيل » سبع سنوات ، تنتهى عام ۳۰ ق٠م ، فى كتابة « الزراعيات » ، ثم كرس البقية الباقية من حياته فى كتابه « الانيادة » ، وقد استغرق ذلك ما يقرب من احدى عشر سنة ٠ ولكن « فيرجيل » لم يشأ نشر عمله الا بعد تنقيحه ومراجعته ٠ ثم اعتزم القيام برحلة الى الشرق لزيارة بعض المعالم التى ورد ذكرها فى عمله ٠ وأثناء زيارته لبلاد اليونان ، التقى فى « أثينا » بالامبراطور « أوغسطس » ، الذى كان عائدا من « ساموس » ، وصحبه فى طريق عودته الى أرض الوطن ، ولكن صحة « فيرجيل » التى كانت غاية فى الضعف ، قد تحطمت ، بسبه تعرضه للحر الشديد فى « ميجارا » ، ولم يكد يصل الى « ايطاليا » حتى دهمه الموت فى « بروندیسیوم » فى العشرين من سبتمبر عام ۱۹ ق٠م٠ ، ونقل جثمانه الى « نابلى » ودفن فى قبر على الطريق المؤدية الى « بوتيولى Puteoli » (۲۸) وقد أصبح هذا القبر فى العصور التالية محل تبجيل أسطورى (۲۹) ٠

والنقش الذى يقال انه كان محفورا على قبره ، والذى نسبه البعض خطأ الى « فيرجيل » نفسه (۳۰) به

---

(۲۸) انظر :

Cyril Bailey, Oxf. Class. Dict. p. 949.

(۲۹) قارن بلينى الأصغر ، الرسائل ۳ ، ۷ ٠

(۳۰) قارن :

Duff, op. cit. p. 320.

اشارة الى محل ميلاده ومماته ودفنه والى موضوعات أعماله الثلاثة العظيمة :

لقد انجبتنى مانتوا ، واختطفتنى كالابريا ، وتمسك بى الآن بارثينوبى (نابلى) : وقد تغنيت بالمراعى والريف والقواد (٣١) ·

وقبل أن نعرض أعمال « فيرجيل » ، يجب ان نتذكر أن الشعر اللاتينى ، باستثناء الهجاء فيما يقال ، قد نهض أساسا على محاكاة النماذج الاغريقية بوجه عام · وكان قرار الدوائر المثقفة ، التى كان « فيرجيل » يكتب لها . يتحولون عن كل قصيدة يعتمد كاتبها على فطرته فحسب ، ويرحبون باعادة انتاج الروائع الاغريقية · وقد وضع « هوارس » للشعراء القاعدة التى تحقق لهم النجاح فى هذا المضمار :

« ادرسوا النماذج الاغريقية ، وتأملوها آناء الليل وأطراف النهار » (٣٢) ·

---

(٣١) انظر المرجع السابق ص ٢٢٠ :
Manuta me genuit, Calabri rapuere, tenite nunc. Parthenope : Cecini pascua, rura, duces'.

(٣٢) هوراس ، فن الشعر ، ٢٦٨ :
'... Vos exemplaria Graeca nocturna versate manu, versate diurna !

ويؤكد لنا سنيكا الاكبر (Sua . 3) أن فيرجيل قد أخذ عن الاغريق ·

ان « الرعويات » تمثل أول أشعار مؤكدة للشاعر
عادة Bucolica — Boukolika » يطلق عليها أحيانا اسم
« فيرجيل » ، وهى تتألف من عشرة قصائد قصيرة ، تسمى
Eclogae بمعنى مختارات • كان شعر مدرسة الاسكندرية
أحب ألوان الشعر دراسة فى ذلك الوقت من تاريخ الأدب
اللاتينى (٣٣) ، وكانت رعويات « ثيوكريتوس Theocritus »
التى يطلق عليها اسم « ايديليا Idyllia كثر أشعار
مدرسة الاسكندرية سحرا وجاذبية • وكلمة « ايديليا »
معناها « صورة قصيرة » تصور فى معظمها حياة الرعاة
وحياة الريف ، وغالبا ما تأخذ شكل الحوار • ويرجع
أصلها فى الغالب الى حب الموسيقى والولع بالأغانى ،
اللذين ساعد على تطورهما سهولة وبساطة الحياة الرعوية
فى الجنوب ، مما يشيع جوا من البهجة والسعادة (٣٤) ،
كما يرجع أيضا الى عادة التنافس فى الغناء والى الارتجال
الذى كان شائعا فى الأعياد الريفية ، وعلى الأخص بين
الدوريين ، الذين كانوا يشكلون جزء كبيرا من المستعمرات
فى صقلية ، حيث أمضى « ثيوكريتوس » معظم حياته ، رغم

---

(٣٣) انظر :
Jebb, Primer of Greek Literature, part III, ch. i.

(٣٤) قارن لوكرينيوس ، عن طبيعة الأشياء ، ٥ ، ١٣٧٩. وما بعده •

أنه ولد فى جزيرة كوس ـ « Cos » وأمضى بعض الوقت فى الاسكندرية (٣٥) ٠

ورغم أن رعويات « فيرجيل » ، من ناحية الشكل ، تعتبر محاكاة لرعويات « ثيوكريتوس » ، الا أنها تختلف عنها فى الجوهر ٠ فرعويات « ثيوكريتوس » مرتبطة بالطبيعة الحقة ، فالمناظر واقعية ، والرعاة حقيقيون من لحم ودم يتدفقون حيوية ، أما رعويات « فيرجيل » فيغلب عليها طابع الصنعة والفن ، فهى صور مثالية للحياة الريفية ، كتبت لتناسب الذوق الرفيع لقراء عاصمة العالم المثقفين (٣٦) ٠ وقد لاحظ « هوراس » (٣٧) أن أهم ما يميز هذه الرعويات هو الرقة والرشاقة Rutuli atque facetum » ٠ ولكن لو تأملنا رعويات « فيرجيل » بامعان ، لأدركنا أن « ثيوكريتوس » لم يكن بأى حال النموذج الوحيد الذى احتذاه « فيرجيل » ، فمما لا شك فيه أن « فيرجيل » قد أحب « هيسيود » وتأثر به حتى قبل أن يقدم على كتابة الزراعيات ، كما أنه لابد وأن يكون قد وقع تحت تأثير شعراء روما السابقين عليه ، فبعض

---

(٣٥) انظر :
T.E. Page, Virgil, Bucolics, inter. p. xviii.

(٣٦) المرجع السابق ص ١٨ـ١٩ ٠

(٣٧) انظر هوراس ، الهجائيات ١ ، ١٠ ، ٤٤ ٠

حركات عروضه تذكر المرء بكاتولوس (٣٨) · وفى الرعوية السادسة المهداة الى « فاروس » تبدأ أغنية « سيلينوس » بقصة نشأة العالم على نهج « لوكرينيوس » بتعبيراته وأنغامه · وها هى بعض أبيات هذه الأنشودة (٣٩) ·

فقد أخذ ينشد كيف أن العناصر الأولى للأرض والهواء والبحر والماء النارى قد التقت معا فى القضاء العظيم ، وكيف نشأت من هذه العناصر الأولى بداية كل الأشياء ، وكيف تشكلت الكرة الأرضية الدقيقة نفسها ، ثم كيف بدأت تتصلب وتحتجز البحر فى الأعماق ، وتتكون أشكال الأشياء رويدا رويدا ، وكيف أن الأرض تذهل الآن من الشمس الجديدة التى تشرق من عل ، وكيف يسقط المطر من السحب المحلقة عاليا ؛ ومتى تبدأ الغابات فى الظهور لأول مرة ، ومتى تتجول الحيوانات القليلة بين الجبال التى لا تعرفها · وبعد ذلك يشير الى الصخور التى القتها بيرا ، والى ممالك ساتورنوس ، والى الطيور القوقازية ، والى سرقة بروميثوث ·

وفى هذا ما يدل على أن فيرجيل كان يرى امكان قبول الأبحاث الفلسفية كموضوع لشعره بجانب الموضوعات

---

(٣٨) قارن : Duff, op. cit., p. 323.

(٣٩) الرعوية السادسة ، ٣١ وما بعده ، قارن لوكريتوس عن طبيعة الأشياء ، ٥ ، ٢٣٥ وما بعده ·

الأسطورية • وعلى كل فانه يكاد يكون أمر مستحيلا أن يحصى المرء جميع مصادر « فيرجيل » التى اعتمد عليها وسار على نهجها ، وقد لاحظ « ماكروبيوس » (٤٠) أن علم « فيرجيل » يميزه حياء نصف صامت وخفى يجعل من الصعب الاهتداء الى ينابيع علمه •

ومهما قيل عن التناقض وغلبة الصنعة فى الرعويات ، لا يستطيع أحد أن ينكر اخلاص هذه الأشعار فى حبها للطبيعة واهتمامها بالجمال ، وتوفيقها فى توصيل هذه التأثيرات الى نفس القارىء • فالشاعر يجعل أهل الريف يتغنون كما لو يتغن أهل ريف من قبل ؛ ففى « أركاديا » ، التى صورها فيرجيل على نهج « ثيوكريتوس » ، وان كان قد زينها بحيث امتزجت فيها المناظر الايطالية بالمناظر الصقلية فى تناقض يشبه تناقض الأحلام ، يشدو رعاة مثاليون متغنين بحبهم لراعيات مثاليات ، ذاكرين آمالهم وأحوال يأسهم وهم يتبارون على نهج لا مثيل له بأبيات ينشدها كل بدوره (٤١) • فهنا « أركاديا » ليست مقدمة للتحليل بل للمتعة والتذوق : قطعة من أرض الجنوب ذى الشمس المشرقة والأشجار المورقة والظلال الوارفة ، حيث يسير الناس الهوينى بين

---

(٤٠) انظر ماكروبيوس ، ساتورناليا ، ١٨ فى أوله ، قارن :
(٤١) انظر الرعوية السابعة ، قارن :
Duff, op. Cit. p. 323.

المراعى والقطعان والحشائش والزهور والتلال والكهوف . وحتى عندما تسمع أصداء الحرب والمصادرات التى نجمت عنها ، فانك تحس أن موسيقى « فيرجيل » قد طغت عليها ، فأذين احدهم على مصادرة أرضه ، يقابله من ناحية أخرى تبجيل المعترف بالجميل لأوكتافيوس الاله الذى يمنح السلام (٤٢) وان الرعويات مليئة بتلك اللمسات التى تكشف عن شعور رومانتيكى نحو الطبيعة والهرب من حضارة المدينة (٤٣) .

وعلى كل فان رعويات « فيرجيل » كانت شيئا جديدا على الرومان ، فالى جانب جمالها ومواطن سحرها ، كانت متقنة من الناحية الفنية ، فقد نجح « فيرجيل » فيما فشل فيه غيره ممن سبقوه ، فخلق من اللغة اللاتينية أنغاما وايقاعات رائعة لم يسمعها الرومان من قبل . ومن ثم فقد لاقت الرعويات نجاحا كبيرا بمجرد ظهورها ، حتى ليقال أنها كانت تلقى على المسرح بحماس عظيم (٤٤) . وهذه الأشعار هى التى منحته فرصة الدخول فى بلاط « أوكتافيوس » والحصول على رعاية « مايكيناس » :

---

(٤٢) انظر الرعوية الأولى .

(٤٣) انظر على الأخص الرعوية الأولى ٥١ وما بعده ، الرعوية الخامسة ٤٥ وما بعده ، ٨١ وما بعده ، الرعوية الثامنة ٣٧ وما بعده .

(٤٤) قارن تاكيتوس ، محاورة حول الخطباء ، ١٣ ، ٦ـ٨

ومكنته من احتلال مكانه اللائق به كشاعر للطبيعة والحياة الريفية · وليس معنى ذلك أن « فيرجيل » قد بلغ ذروة الكمال الفنى فى هذه الأشعار ، فمازال أمامه خطوات يخطوها نحو الكمال عندما تيناول موضوعات أسمى وأجل وهذا ما تراه فى عمله التاله « الزراعيات » ·

و « الزراعيات » كما يدل عليه « Georgica » عبارة عن مقالة عن شئون الزراعة وما يتعلق بها وقد كتبها « فيرجيل » تلبية لرغبة « مايكيناس » (٤٥) ، كما أنها مهداة اليه · فمنذ نشر الرعويات وقد أصبح فيرجيل أحد رجال الأدب الذين تعتمد عليهم الدولة فى الدعاية لمشروعاتها · وقد كان أحد المشروعات الهامة ، التى واجهت « أوكتافيوس » ووزيره « مايكيناس » ، صد الخطر الداهم الذى يهدد ايطاليا ، أعنى خطر اهمال الأراضى والهجرة من الأريساف · فليس بعجيب اذن أن يشير « مايكيناس » على « فيرجيل » بكتابة هذه المقالة عن « الزراعيات » كوسيلة من وسائل الدعاية بقلم شاعر أثبت مقدرة فائقة على التعبير عن مثل هذه الأمور فى الرعويات ، وذلك بمهارة لم يسبق لها نظير ·

تتألف « الزراعيات » من أربعة كتب تحتوى فى

---

(٤٥) الزراعيات ، ٣ ، ٤١-٤٢ :
ê..., tua, Maecenas, haud mollia iussa : te sine nil altum mens inchoat. 6

جملتها على ٢١٨٨ بتيا · وان أهم ما يميز « الزراعيات » هو احكام صقلها ، فقد كتبت على مهل وبعناية فائقة ؛ فلو سلمنا بأنها كتبت فيما يقرب من سبع سنوات ، لكان متوسط ما كتب فى اليوم الواحد أقل من بيت واحد · ومن ثم فقد صقل كل بيت صقلا تاما ، أو على حد قول « فيرجيل » نفسه فيما يقال « كان يلمس أبياته ليعطيها شكلا كما تفعل الدبة بأولادها · » (٤٦) ولذلك فان الزراعيات تعتبر أحسن ما أنتج « فيرجيل » من ناحية المهارة الفنية ، بل أروع ما كتب بالاتينية فى الشعر التعليمى ، لا يدانها الا عمل « لوكريتوس » المعروف باسم De Rerum Natura أى « عظ طبيعة الأشياء ·

ويعالج الكتاب الأول من « الزراعيات » موضوع زراعة المحاصيل والعلامات الدالة على تقلبات الجو ؛ ويتحدث الثانى عن زراعة الأشجار لا سيما أشجار الكروم والزيتون ؛ ويناقش الثالث موضوع تربية الماشية ؛ والرابع يعترض موضوع تربية النحل ، الذى يبدو أنه كانت له أهمية أكثر مما له الآن ، باعتبار أن عسل النحل كان

---

(٤٦) انظر جيليوس ، الليالى الاثبيكية ، ١٧ ، ١٠ ، ٢ ·
êparere se versus more atque ritu ursino'.
قارن دوناتوس ، حياة فيرجيل :
Carmen se more parere dicens et lambendo effingere'.
وقارن :
Duff, op. cit., p. 320.

المصدر الوحيد للحصول على مادة السكر ، ويختم فيرجيل هذا الموضوع بمشهد أسطورى يحتل ما يقرب من مائتى وخمسين بيتا (٥١٥ـ٥٥٨) يحكى فيه « فيرجيل » كيف أن الراعه « أريستايوس » كان السبب فى موت «يوريديكى» زوجة « أورفيوس » ، ومن ثم فقد غضبت عليه أخواتها عرائس الغـاب وانتقمن منه بأن دمرن جميع خلايا نحله ، فذهب الى أمه « كيرينى » يستشيرها فى هـذا الأمـر ، فنصحته بأن يذهب الى « بروتيوس » فعنده الخبر اليقين ، فيكشف له هذا عن سبب ما نزل به من دمار ، ويطلب منه أن يعمل على تهدئة عرائس الغاب بتقديم بعض الثيران كأضحيات ، وقد خرجت من جيف هذه الثيران أسراب جديدة من النحل .

ان عملا كهذا ، كان من الممكن ، فى يد شاعر آخر غير « فيرجيل » ، أن يتحول الى قصيدة تفيض بالمديح والثناء على السياسة الزراعية للدولة . أما « فيرجيل » فعلى الرغم من أنه أثنى على « أكتافيوس » وسياسـته الزراعية أكثر من مرة (٤٧) ، الا أنه خصص كل العمل لوصف الأمور الزراعية ، كما يراها هو باعتباره أحـد

---

(٤٧) انظر على الأخص الزراعيات ١ ، ٤٩٨ وما بعده وهى دعوة خالصة لآلهة روما أن تبقى على أوكتافيوس ليعمل على انقاذ الدولة من الدمار ، وانظر أيضا الزراعيات ٣ ، ١٠ وما بعده

الزراع ، الذين يحبون الحياة الريفية ويعرفون كل ما فيها من حلاوة ومرارة ٠

والمصدر الوحيد الذى يعترف « فيرجيل » بمحاكاته هو « هيسيود » « شاعر أسكرا » المعروف ، اذ يقول : « انى اتغنى بشعر أسكرا فى البلدان الرومانية (٤٨) ٠ وعمل « هيسيود » ، الذى يقال ان « فيرجيل » قد سار على نهجه ، هو « الأعمال والأيام Erga Kai Hemera وهو عبارة عن مجموعة من الحكم والنصائح والارشادات وضعت فى قالب شعرى ، ومثل هذا النوع كان يطلق عليه اسم « الشعر التعليمى » ، لأن غرضه الأساسى هو التثقيف والتهذيب ؛ فلم تكن الكتابة معروفة فى العصور القديمة أو كانت قليلة الاستعمال ، ومن ثم فان هذه الحكم والنصائح والارشادات غالبا ما كانت توضع فى قالب شعرى ، والسبب فى ذلك بسيط معروف ، وهو أنها ، وهى فى القالب الشعرى أقل تعرضا للتحريف والتغيير والتبديل ، كما أنها أسهل فى الحفظ (٤٩) وحتى عندما أصبح النثر الفنى معروفا وشائعا ، فان بعض الفلاسفة كانوا يحاولون جعل موضوعاتهم أكثر تشويقا بوضعها فى القالب

---

(٤٨) الزراعيات ٢ ، ١٧٦ :
'Ascraeum cano Romana per opida carmen'.

(٤٩) قارن كوينيليان ، حول تعليم الخطيب ١ ، ١ ، ٣٦ ، ٩ ، ٢ ، ٣٩ ٠

الشعرى (٥٠) · ولكن صلة « فيرجيل » بعمل « هيسيود » تقل كثيرا عن صلته برعويات « نيوكريتوس » · ومن الواضح أن مصادر فيرجيل كثيرة متعددة ؛ فمن « نيكاندروس » استعار « فيرجيل » الاسم « Georgica » وقد فقدت ولا نعرف الى أى مدى تأثر بها « فيرجيل » ، ومن الممكن أن يكون الكتاب الرابع لزراعيات « فيرجيل » محاكاة لعمل آخر لنفس الكاتب يسمى « تربية النحل « Melissurgica » ، وقد فقد هذا العمل أيضا ، ومما يدل على أن « فيرجيل » كان ينقل عن هذا الكتاب أن وصف « فيرجيل » للثعبان (٥١) يشبه ما جاء عند «نيكاندروس» في عمله الذى وصلنا كاملا وهو « الترياق » « Theriaca » ولابد وأن يكون « فيرجيل » قد رجع الى « ايراتوستينيس » عند حديثه عن الأجرام السماوية (٥٢) ، والى « أراتوس » عندما تعرض للعلامات الدالة على تقلبات الجو (٥٣) · وقبل أن يبدأ « فيرجيل » الكتابة بوقت قصير ، كان « لوكريثوس » قد وضع فلسفة « أبيقور » فى عمله الشعرى

---

(٥٠) قارن لوكريتيوس ، عن طبيعة الأشياء ، ١ ، ٩٢٦ وما بعده ·

(٥١) الزراعيات ، ٣ ، ٤٢٥ وما بعده ·

(٥٢) انظر : الزرعيات ، ٢٣١ وما بعده ·

(٥٣) انظر : الزراعيات ، ١ ، ٣٥٦ وما بعده ·

قارن :

Duff, op. cit., p. 327.

المعروف باسم De Rerum Natura ومما لا شك فيه أن تلك القصيدة الرائعة كانت في ذهن « فيرجيل » وهو يكتب « الزراعيات » (٥٤) ومع ذلك فان « فيرجيل » يختلف اختلافا بينا عن كل من أخذ عنه وتأثر به ، فقد كتب « هيسيود » شعرا تعليميا ، لأنه كان مفيدا على أيامه فائدة عملية ، وكتب فيه « لوكريتيوس » لأنه وجد فيه وسيلة جذابة لجنى ثمرة ما اعتقد أنه الحقيقة الفلسفية ، أما غرض « فيرجيل » فلم يكن التثقيف بقدر الامتاع ؛ حقيقة ان ما كتبه « فيرجيل » هو نتاج عقل راجح ، حتى لقد استشهد به بعض العلماء مثل « بلينى الأكبر » فى تاريخه الطبيعى و « كولوميلا » فى عمله « عن الريف » « De Re Rustica » ، وان حبه للزراعة وللريف لهو حب صادق بلا أدنى جدال ، ولكنه كان يكتب ليرضى الذوق الفنى والأدبى لقرائه ، بالاضافة الى غرضه العملى . ولذلك فقد نثر « فيرجيل خلال الموضوعات العلمية كثيرا من العناصر القومية والدينية والأسطورية والخيالية ، ليزين بها التفاصيل الزراعية التى قد لا تثير اهتماما ، حتى لقد استطاع « فيرجيل » أن يخلق شعرا من أشياء لا تمكن

---

(٥٤) انظر : على الأخص الزراعيات ١ ، ١٢١ وما بعده ، حيث يتبع فيرجيل عرض لوكرينيوس لحياة الانسان البدائى ، قارن لوكريتيوس ، عن طبيعة الأشياء ١ ، ٤١٥ وما بعده ، ٥ ، ١١٠٥ وما بعده .

بها أدنى شاعرية ، وقد عبر « فيرجيل » عن عدم ثقته في نفسه وهو يتعرض لمثل هذه الموضوعات التافهة (٥٥).

نأتى الآن الى بيت القصيد فى هذا المقال ، أعنى « الانيادة » لقد بدأ « فيرجيل » فى كتابتها حوالى ٣٠ ق٠م وهو فى سن الأربعين ، وقد عكف على كتابتها الاحدى عشرة سنة الأخيرة من حياته ، ومع ذلك لم ينته من تنقيحها ، بحيث يرضى عن نشرها ، فقد كان بها كثير من أنصاف الأبيات التى لم تكتمل ، حتى لقد أراد « فيرجيل » أن يقوم بتدمير هذا العمل الضخم حين وافته المنيــة ، لولا تدخل الامبراطور « أوغسطس » وعمل على انقاذه ، فأمر (فاريوس » و « توكا » أن يقوما بنشر « الانيادة » على أن يحذفا الزيادات دون أن يضيفا شيئا من عندهما ٠ وعلى هذا ، وبعد مرور عامين على وفاة « فيرجيل » أى حوالى عــام ١٧ ق٠م ، طلعت على العــالم ملحــمة « فيرجيل » الخالدة « الانيادة » التى تنبأ لها «بروبيرتيوس» بأنها ستكون « شيئا ما أعظم من الالياذة » ٠ (٥٦)

---

(٥٥) انظر مثلا الزراعيات ٣ ، ٢٨٩ ـ ٢٩٠ ، وهو مقدم على موضوع الغنم والماعز ٠ وانظر أيضا الزراعيات ٤ ، ٦ـ٧ ، عندما يتعرض لموضوع النحل :

Duff, op. cit., p. 326 ff.

(٥٦) انظر بروبيرتيوس ، ٣ ، ٢٦٠ ، ٦٥ :

'Cedite Romani scripores, cedite Grai, Nescio quid maius nascitur Iliade".

ويبدو أن « الإنيادة » لم تكن أول محاولة يقوم بها « فيرجيل » لكتابة الملاحم ، فقد سبقتها بعض المحاولات التى لم يكتب لها النجاح (٥٧) ومع ذلك فان « فيرجيل » لم ييأس ، فقر أعلن فى الأبيات الافتتاحيـة من الجـزء الثالث للزراعيات عن عزمه على محاولة الكتابة فى موضوع أكثر سموا ، حيث يقدم ملحمـة عظيمـة يكون « قيصر اوغسطس » الشخصية الرئيسية بها (٥٨) . وقد وفق « فيرجيل » أكبر توفيق ان إختار قصة « أينياس » لتكون الهيكل الذى يبنى عليه ملحمته ، ولم يحـاول أن يكتب ملحمة تاريخية دقيقة ، فلم تكن الحروب ، التى شبت بين قتلة قيصر والحكومة الثلاثية ، لتمده بالمادة الفنية التي أمدته بها قصة « أينياس » ، فهذا الاختيار مكنه من مزج الحقيقة التاريخية بالخيال الأسطورى . ومن ثم جاءت « الانيادة » ملحمة قوية وطنية قصد بهـا ربط أصـل

---

(٥٧) قارن الرعويتا ٦ ، ٣ـ٥ :

'Cum canerem reges et proelia, Cynthius aurem/vel et admonuit : pastorem, Tityre, pingues/pascre oprortet oves, deductum dicere carmen.'

قارن أيضا دوناتوس ، حياة فيرجيل ، ١٩ :

'Cum res. Romanas incohassel, offensus materia, Bucolica tran iit'.

(٥٨) انظر على الأخص الزراعيات ٣ ، ٤٦ـ٤٨ :

Mos tamen ardentes accingar dicere pugnas Caesaris, nomen fama tot ferr eper annos. Tithoni prima ou abest ab origine Caesar.

الرومان ، وعلى الأخص الأسرة اليولية ، بالآلهة والأبطال العظام ، كما قصد بها أيضا ، ولو بطريق غير مباشر ، تمجيد كثير من عادات وطقوس الرومان ، وذلك بربطها بعادات وطقوس عصر الأبطال . ثم أن « اينياس » وأتباعه ، باصرارهم على احراز النجاح ، رغم اعتمادهم على الآلهة فى حل جميع الصعوبات والمخاطر التى واجهتهم ، يمثلون خير تمثيل تلك الفضائل والميزات التى عملت ببطء على تأسيس الامبراطورية الرومانية وتدعيمها ، بينما « أينياس » نفسه ، باعتباره الحاكم الأبوى لشعبه : قائدهم فى المعركة ، وواضع تشريعاتهم فى وقت السلم ، وكاهنهم الأعظم فى كل ما يتعلق بالشئون الروحية والدينية ، يمثل بوضوح شخصية « أوغسطس » مؤسس الدولة الجديدة (٥٩) .

والانيادة تتألف من اثنى عشر كتابا تحوى على ما يقرب من ٩٨٩٦ بيتا . فهى عمل ضخم جدا ، حتى أن الامبراطور قدى علق عليه بأن « فيرجيل » عندما بدأ هذا العمل ، كان ولابد فى حالة من حالات ذهاب العقل (٦٠) .

---

(٥٩) انظر :
T.E. Page, Virgil, Aen. VI., Intr. p. XVIII Sellar's Virgil p. 344.

(٦٠) انظر ماكروبيوس ، ساتورناليا ، ١ ، ٢٤ :
"Tanta incohata res est ut paene vitio mentis tantum opus ingressus mihi videar, ...
Duff, op. cit., p. 321.

تصف الكتب الستة الأولى تجوال أينيـاس ومغامراته ، بينما تصف الكتب الستة الثانية حروبه ومعاركه ؛ فكأن الملحمة الرومانية اذن تمثل ملحمتى « هومر » الأوديسا والالياذة ، كما أنها تسـير على منوالهمـا فى معـظم أجزائها ، وان كان هناك أيضا بعض الأجزاء التى نسجت على منوال « الأرجووتيكا » التى كتبها « أبو للونيوس الرودى » الشاعر السكندرى المعروف الذى اندهـر فى الفترة ما بين ٢٢٢ ، ١٨١ ق٠م٠

لقد افتتح فيرجيل ملحمته بالأبيات التالية : (٦١)

انى اتغنى بالسلاح وبالرجل الذي قدر له أن يكون أول من يأتى من شواطىء طرداذة ويصـل الى ايطاليـا وساحل لافينيوم ، رغم أنه كتب عليه أن يكون طريدا ؛ لقد قاسى ذلك الرجل وتعذب فى البر والبحر بقوة من السماء ، وذلك ارضاء لغضب جونو الذى لا يهـدأ ولا يلين ؛ كما تحمل الكثير فى المعـارك الحربية ، قبل أن يتمكن من تشييد مدينة وتدعيم آلهته فى اقليم لايتوم ؛ وقد أتى من صلبه العنصر اللاتينى وسادة ألبـا وروما ذات الأسوار الشامخة ٠

---

(٦١) لقد لخصنا أسطورة تأسيس روما بشىء من التفصيل فى مقال آخر بعنوان « الاساطير الرومانية » ، نشر فى نفس هذه السلسلة ، العدد الثانى من المجلد السادس ، أبريل عام ١٩٦٨ ٠

وكما فعل « هومر » فى « الأوديسا » ، فعل «فيرجيل» أيضا فى « الانيادة » ، فلم يبدأ الأحداث منذ سقوط طروادة وبداية مغامرات « أينياس Aeneas » ، بل بدأها وقد أوشك « أينياس » أن يصل الى غايته ، فقد كانت ايطاليا على مرأى البصر ، لولا « جونو Juno » عدوة الطرواديين اللدودة ، منذ حكم « باريس » بالتفاحة الذهبية لفينوس ؛ فقد كانت تعلم أن نهاية قرطاجة ، وهى أحب مدينة لديها ، ستكون على يد رجال من طروادة بعد أن يؤسسوا لأنفسهم امبراطورية أخرى جديدة أشد وأعظم • ومن ثم فان « جونو » قد استطاعت أن تستميل « أيولوس Aeolus » اله الرياح ، فيرسل عاصفة هوجاء تعصف بأسطوله الذى جرفه التيار قريبا من مساحل أفريقيا الخطر • ولكن نيبتونوس Neptunus » اله البحار أحس بالعاصفة ، فأدركه برحمته ، فجعل المياه تهدأ والأمواج تخلد الى السكون • لقد غمر اليم ثلاثا من سفن « أينياس » ، ولكن البقية الباقية وصلت ساعة الى مواقع مختلفة من الشاطىء • وفى اليوم التالى توغل « أينياس » داخل البلاد ، يصحبه تابعه المخلص « أخاتيس Achates » حتى وصل الى مدينة قرطاجة • وفى الطريق تقابله أمه الالهة « فينوس Venus » ، وكانت قد اطلعت من « جوبيتير Juppiter » على المصير الرائع الذى قدر لمدينة « روما » ، فتخبره بأن « ديدو Dido » هى حاكمة هذا الموطن الجديد ، فقد هربت من موطنها الأصلى

« تيرى » بعد مقتل زوجها السابق « سيخايوس Sychaeus » لقد استقبلت الملكة « ديدو » البطل « أينياس » أحسن استقبال وأكرمت وفادته ، وأرسلت « فينوس » « كيوبيد Cupido » ليجعل « ديدو » تهيم غراما بحب « أينياس » ، وذلك بايعاز من « جونو » ، التى كانت تهدف الى استبقاء « أينياس » بجوار « ديدو » وبذلك لا يتحقق له ما كان مقرر أن يقوم به · وأثناء الوليمة التى أقامتها فى تلك الليلة اكراما لضيفها العزيز ، تطلب منه أن يصف لها سقوط طروادة ويحدثها عن جولاته جولاته ومغامراته ·

وفى الكتاب الثانى يبدأ « أينياس » الرواية ، فيتحدث عن سقوط طروادة وقصة الحصان الخشبى ، وكيف أن أمه « فينوس » أمرته بالفرار بصحبة أبيه « أنخيسيس Anchises » وابنه أسكانيوس » ، وهو نفسه ايولوس Julus » الذى قدر له أن يكون مؤسس الأسرة اليوليه « gens Julia » ، أما زوجته « كريوسا Creusa » فقد تاهت عنهم ، وبينما كان يبحث عنها ، يقابله شبحها ، فقد ماتت ، ويفضى اليه أنه قدر عليه أن يستقر فى بلاد الغرب « Hesperia » ·

وفى الكتاب الثالث يتابع « أينياس » حديثه عن تجواله منذ ذلك اليوم بحثا عن الوطن الموعود ، فيصل

أولا الى طراقيا ومنها الى كريت وبعدها الى بيروس ، ثم الي صقلية حيث مات أبوه « أنخيسيس » ٠

أما الكتاب الرابع فيعرض فيه « فيرجيل » علاقة « ديدو » مع « أينياس » ٠ لقد مكث أينياس فى « قرطاجة » عدة شهور تحوطه « ديدو » برعايتها وتغمره بحبها ؛ لقد باحت « ديدو » لأختها « أنا Anna بأنها على الرغم من قسمها بألا تتزوج أبدا بعد موت زوجها الراحل ، الا أنها تنهار يوما بعد يوم منذ وقعت تحت تأثير سحر « أينياس » ٠ وذات يوم ، بينما كانا فى رحلة صيد ، أرغمتهما ريح عاصفة أن يحتميا فى كهف ، حيث نسيا نفسيهما ، وشربا كأس الحب حتى الثمالة ، وحدث بينهما ما ظنته « ديدو » زواجا ٠ حدث كل هذا بتدبير من « فينوس » وموافقة « جونو » على استمرار هذا الحب ، حتى تظل الالهتان فى أمن وسلام ، ولكن « جوبيتير » يرسل رسوله « ميركوريوس Mercurius » ليذكر « أينياس » بواجبه ٠ يحاول أينياس أن يدبر أمر رحيله سرا ، حتى لا يؤلم « ديدو » ولكنها تكتشف الأمر ، فتتوسل اليه ألا يتركها وحيدة ، ولكن بلا جدوى ، فقد كان عليه أن ينفذ ما أمر به «جوبيتر » وفي لحظة من لحظات اليأس والألم ، التى تسببها لوعة الفراق ، تقتل ديدو نفسها ٠

ان مشهد اللقاء الأخير بين « ديدو » وأينياس من أروع ما كتبه « فيرجل » ، لهذا رأينا ترجمته كنموذج

من « الانيادة » ، ورغم أن الترجمة بالطبع ستفقد المشهد الكثير من روعته وجمال أسلوبه :

٣٠٤ وأخيرا هاجمت أينياس بهذه الكلمات :

« أيها الخائن ، أكنت تأمل أيضا أنك تستطيع اخفاء مثل هذا الجرم الشنيع ، وترحل عن بلادى سرا ؟ ألا يمكن لحبنا وأيدينا التى تشابكت ذات يوم وديدو التى ستموت ميتة قاسية أن تستبقيك ؟ ....

٣١٥ أتفر منى ؟ بحق هذه الدموع وبحق يمناك ، اذا لم يبق لى شئ آخر غيرك ، يالى بائسة ، بحق تعانقنا ، وبحق طقوس عرسنا التى ما تزال فى البداية ، لو كنت أستحق منك أى معروف ، أو كانت لمعزتى عندك أى تقدير ، أشفق على بيت يتداعى ، واذا كان ما يزال للضراعة أى مكان فانى أضرع اليك أن تطرد هذه الفكرة من رأسك !

فبسببك كرهتنى قبائل ليبيا وزعماء النوميدين ، وبسببك أصبح التيريون أعدائى ، وبسببك أيضا ضاع حيائى وتحطمت سمعتى السابقة التى كنت أستطيع بها فقط أن أصعد الى نجوم السماء . عن تتركنى عرضة للهلاك ، أيها ... الضعيف ؟ اذ أن كلمة زوج أيضا قد تضاءلت وانكمشت ! الى أين أمضى ؟ .. .. ..

٣٢٧ لو انى على الأقل أنجبت منك قبل رحيلك ذرية

ما ، لو كان لى أيناس صغير يلعب فى أبهاء قصرى ، فيجعلك على الأقل تعود الى فى المستقبل ، لما بدوت أمامك بأى حال على هذه الصورة الذليلة الكسيرة ! »

كانت قد تكلمت ، بينما بقى الآخر محدقا بعينيه ، بناء على تعليمات جوبيتر ، وهو يخفى بين جنبيه همـا دفينا يصر على كبح جماحه ؛ وأخيرا يرددا مختصرا : « لن أنكر قط ، أيتها الملكة ، أى شىء من أفضالك ، التى يمكنك أن تعديها كثيرة جدا ؛ ولن أمل من تذكر السا ، طالما أنى ذاكر لنفسى ، وطالما أن أنفاس الحياة تدب فى هذه الأعضاء ٠

لتكن كلماتى قليلة لتناسب المقام ٠ انى لم أفكر قط فى أن أحيط هذا الرحيل بطى من الكتمان ، لا تتصورى هذا ، كما أنى لم أعرض عليك أبدا مشـاعل الزواج ، أو أتيت لمثل هذه الارتباطات ٠ لو أن الاقدار سمحت لى بأن أشكل حياتى وفق هواى وأن أعمل على حل مشاكلى بمحض رغبتى وارادتى ، لكان أول ما يحظى باهتمامى مدينة طردادة ورفات أصدقائى الأعزاء ، ولظلت منـازل بريام الشامخة قائمة ، ولعملت بيدى هذه على استرداد برجام لأبنائها المنهزمين ٠ أما الآن فقد أمرنى أبوللو سيد جرينيوم بأن استحوذ على ايطاليا العظيمة ، ايطاليا مقر النبوءات الليكية ؛ هذا هو حبى ، وهذا هو وطنى ٠ وأنت باعتبارك فينيقية ، لو أن قلاع قرطاجة ورؤية المدينة

الليبية قد استولت على نفسك فأى ضيم فى أن يستقر التيوكريون فى أرض أو سونيا ؟ فمن حقنا نحن أيضا أن نبحث عن ممالك خارجية • ان طيف أبى انخيسيس ينذرنى فى أحلامى ويخيفنى بنظراته المضطربة ، كلما خيم الليل على العالم بظلاله الندية ، وكلما طلعت النجوم المتوهجة (كما ينذرنى أيضا) الفتى أسكانيوس والأضرار التى نزلت برأسه العزيز ، الذى أوهمته بحكم هيسبيريا وبالأراضى الموعودة • وأن رسول السماء أيضا ، الذى أرسله زيوس بنفسه ، واستشهد على ذلك برأسينا ، قد حمل الى تعليمات خلال الهواء المنطلق ؛ وقد رأيت الاله فى وضح النهار وهو يدخل الأسوار والتقطت صوته بأذنى هاتين •

اقلعى عن احراق روحى وروحك بشكاياتك ، فانى لا أتجه الى ايطاليا بمحض ارادتى • »

.. لقد كانت تحملق فيه شذرا طوال الوقت وهو يتكلم على هذا النحو ، وهى تجيل بعينيها هنا وهنا وترمقه كله بنظراتها الصامتة ، ثم انفجرت فى واشتعال وقالت ما يلى :

« لم تكن أمك الهة ، ولم يكن داردانوس ، أيها الغادر ، مؤسس عنصرك ، ولكنك جبلت من صخر أصم ، اذ أنجبتك جبال القوقاز المريعة ، وأرضعتك نمرات هيركانية •

فلما ذا أخفى الحقيقة ؟ ولأى مصائب أجل أدخر نفسى ؟ فهل يمكن أن أتصور ما هو أكثر مهانة من ذلك ؟ والآن والآن فقط لا تنظر جونو العظيمة ولا أبوها ساتورنوس الى هذه الأمور بنظرة متعادلة ٠

ان الاخلاص لا أمان له على الاطلاق ؛ لقد رحبت به عندما جاء الى شاطئىء شريدا طريدا ، وجعلته فى لحظة جنون شريكا لى فى الملك ؛

كما أنقذت أسطوله من الضياع وبحارته من الموت ٠

ويلاه ؛ انى أتقلب محترقة بنار من الغيظ ! والآن فان أبوللو كاشف الغيب والنبوءات الليلية ورسول السماء الذى أرسله زيوس بنفسه ، يحمل الآن الأوامر الخطيرة خلال الهواء ٠

هذا بالطبع هو كل عمل آلهة السموات العلى ! وهذا هو الهم الذى يقلق راحتهم ! انى لن أستبقيك ولن أرد على ادعاءاتك ؛

اذهب لتحملك الرياح الى ايطاليا ، ولتبحث عن الممالك وسط الأمواج ٠

وانى أتمنى فى الواقع أن تتجرع كأس الشقاء وسط صخور البحر ،

آه لو تستطيع قوى الآلهة الطيبة ذلك ، وأن تهتف باسم ديدو مرارا وتكرارا ٠

ورغم بعدى عنك ، فانى سوف أقتفى أثرك بالنيران المريعة ، (نيران الهات الغضب) ٠

وعندما ينزع الموت البارد الروح عن أعضائى ، فان طيفى سيلاحقك فى كل مكان ؛ أيها الناكر للجميل ، سوف ينزل بك العقاب ٠

وسوف أسمع بذلك ، اذ ستصل الى الرواية حتى ولو كنت فى أعماق العالم الآخر ٠ »

قالت هذه الكلمات وقطعت الحديث من منتصفه ، وانطلقت بسرعة وكأن مرضا أصابها ، ونأت بنفسها عن ناظريه واندفعت الى الخارك ، تاركة اياه وقد انعقد لسانه بخوف شديد ، وان كان يود أن يقول الكثير ٠

أما هى فقد أنهضتها الوصيفات وحملن أعضاءها المنهارة الى حجرتها المرمرية وأرقدتها على السرير ٠

ولكن أينياس الطيب ، رغم أنه يتوق الى أن يخفف من آلامها بالتسرية عنها ، والى أن يزيح عنها الهموم بكلماته ، فانه يئن أنينا موجعا ، ويضغط على قلبه المعذب بحبه العظيم ،

(٣٩٦) ويعود الى الأسطول تنفيذا لأمر السماء ٠

ويبدو أن « فيرجيل » فى هذا الكتاب قد تأثر برومانسية مدرسة الاسكندرية ، وخاصة بعمل « أبوللونيوس الرودى » المسمى « أرجوناوتيكا » ، فشخصية « ديدو » تشبه الى حد ما شخصية « ميديا » ، الا أن « ديدو » أقوى شخصية وأكثر رومانتيكية · وفى هذا الكتاب تظهر على « أينياس » للمرة الأولى والأخيرة مظاهر الضعف الانسانى ، ولكنه قد يبدو أيضا ، كما رأى البعض (٦٢) ، خسيسا جديرا بالازدراء ، فقد قبل حب « ديدو » ثم هجرها وتركها لليأس والموت ، كما أن رده عليها فى الدفاع عن نفسه يغلب عليه طابع المنطق والبلاغة الباردين · ولكن يجب أن نذكر دائما أن « اينياس » طبقا لتصوير « فيرجيل » له ، ليس لديه الا قدر ضئيل جدا من حرية الارادة ، وهجره « ديدو » أمر حتمى ، فهو تنفيذ لقوة ارادة السماء ، التى تتحكم فى آمال الناس ولا تعنى بأى شىء عارض يقف حائلا دون تحقيق ارادتها ؛ وان ما جرى لأنطونيوس وما جناه عليه حبه لكليوباترا كان صداه ما يزال يتردد فى أرجاء الامبراطورية ، عندما بدأ « فيرجيل » يكتب « الانيادة » ؛ وقد يكون غرض « فيرجيل » الاشارة الى أن حب أى امرأة ، مهما كانت ، يجب أن يعد أمرا تافها ، اذا قيس بمصالح الامبراطورية ، وكان حائلا أمام بناء مجدها العظيم ·

---

(٦٢) انظر :
T.E. Page, Virgil, Aen. VI intr. pp. xx-xxi.

وعلى كل فان هذا الكتاب يكشف عن حدة فى الطبع ، وتأجج فى العاطفة ، وقدرة فائقة على خلق المواقف الدرامية ، وهى مزايا لم تكن ليظهر منها فى أعماق « فيرجيل » السابقة الا لمحات خاطفة ٠

أما الكتاب الخامس فهو يمثل مرحلة انتقال تخفف من حدة مأساة « ديدو » ، وتمهد لغموض وروعة الكتاب السادس ، كما أنه يقدم فرصة يحاكى فيها « فيرجيل » بعض المشاهد من « هومر » ٠ فقد خصص معظم هذا الكتاب لغرض الألعاب التى اقامها « أينياس » ، بعد عودته الى صقلية ، احتفالا بمرور عام على وفاة أبيه ؛ وهى تشبه الى حد كبير الآلعاب التى أقامها « أخيل » تكريما لموت صديقه « باتروكلوس » ، كما صورها « هومر » فى الكتاب الثالث والعشرين من « الالياذة » ٠ وينتهى الكتاب بانقاذ بعض سفن « أينياس » بمعجزة من الحريق الذى اشتعل في الأسطول بايعاز من « جونو » ، وبغرق بالينوروس Palinurus مرشد سفينة « أينياس » كفدية لسلامة الآخرين ٠

ويبدأ الكتاب السادس بوصول « أينياس » الى ساحل ايطاليا ٠ وما أن يصل حتى يأخذ فى البحث عن العرافة « سيبيلا Sibylla فى « كوماى
ان « فيرجيل » فى هذا الكتاب يبدو أكثر غنى وثراء وأكثر استقلالا وبعدا عن النقل والتقليد ، فقد جمع

« فيرجيل فى هذا الكتاب كل ثمار دراسته وثقافته واطلاعه عن الأســـاطين والنبـوءات والطقـوس وعن التـاريخ والفلسفة ووضعها جميعا فى تلك الصورة الخيالية الرائعة التى صور بها رحلة « أينياس » الى العالم الآخر وكشف بها عن أحداث المستقبل ، هذا رغما من التشابه الظاهرى بين رحلة أينياس الى العـالم الآخر فى انيادة « فيرجيل » ورحلة « أوديسيوس » فى الكتـاب الحـادى عشر من أوديسا « هومر » ٠

ان الكتاب رائع وممتع ٠ وان الصورة التى رسمها فيرجيل لنزول الوحى على العـرافة لهي احدى الصـور الجميلة التى جاءت فى هذا الكتاب ٠

(٤٥) كانوا قد وصلوا الى الأعتاب ، عندما قالت العذراء :

« هــذا وقت طلب الوحى ، الآله ، هاك الاله ! » وفجأة لم يبق لهذه المرأة ، التى قالت مثل هذا الكلام أمام الأبـواب ، نفس الملامح ، كمـا لم يبق لونهـا على حاله ، ولم يعد شعرها ممشطا ، بل أخذ صدرها يعلو لاهثا ، وينفتح قلبها بجنون وحشى ؛ وهى تبدو وكأنها أكبر مما هى ، ولا تنطق بما هو آدمى ، فقد نفث فيهـا الآن من قوة الاله القريبـة ٠

فهى تقول : « أى أينياس الطروادى ، أتتأخر عن

تقديم النذور والأدعية ، أتتأخر ؟ فقبل ذلك لن تفتح الأبواب العظيمة لهذا المنزل الذى أصابته الدهشة » • ثم صمت بعد أن قالت هذا الكلام •

لقد سرت فى عظام التيوكريين الجامدة رعدة باردة ، ثم انهمر الملك بالدعوات من أعماق فؤاده :

« أيا فويبوس ، يامن كنت تعطف دائما على الشدائد الثقال التى حلت بطروادة ، يا من وجهت سلاح باريس الدردانى ويده الى جسد سليل أياكوس ، انى بارشادك دخلت بحارا عديدة تحف بلادا عظيمة ، وقبائل الماسيلى القاصية ، والحقول التى تمتد أمام صخور سيرتيس ، وهانحن الآن فى النهاية نتشبث بشواطىء ايطاليا التى تحاول الهرب منا ؛ وانى أدعو أن يكون خط طروادة قد تبعنا الى هذا الحد فقط •

٧٧ ـ واكن الكاهنة ، ولم تعد تطيق الآن فويبوس ، فانها تضطرب فى الكهف اضطرابا وحشيا ، بأمل أن تتمكن من اخراج الاله العظيم من صدرها • ولكن كلما ازداد اضطرابها ، كلما ازداد فمها المجنون انهاكا ، وقهر قلبها المتوحش وشكلها قهرا •

وانفتحت الآن أبواب المنزل المائة الضخمة •

انفتحت من نفسها تحمل اجابات الكاهنة خلال الهواء :

« أنت يا من انتهيت أخيرا من أهوال البحر العظيمة ، ان أمورا أكثر خطورة تنتظرك على البر ؟ سيصل الدردانيون الى مقاطعة لافينيوم ، اطرح هذا أرى حروبا •

حروبا مريعة ، ونهر التيبر يفيض بدم غزير •••

(٩٣) ان مثل هذا الشر المستطير ، الذى سيحيق بالمتيوكريين •

سيكون مرة أخرى بسبب زوجة أجنبية وعرش أجنبى •

أما أنت فلا تخضع للشرور ، بل عليك أن تتقدم بجرأة لمواجهتها •

فى الطريق الذى يسمح به قضاؤك وقدرك • ان أول طريق للنجاة ،

وهذا آخر ما يخطر لك على بال ، سيفتح من مدينة يونانية • »

وعندما يرجو « أينياس الكاهنة أن تسمح له بالذهاب الى العالم الآخر ، ليشاهد اباه مرة آخرى ،

فانها تطلعه على الطريقة التى تمكنه من تحقيق مأربه ، كما تطلب منه البحث عن الغصن الذهبى ونزعه ، اذ بدونه لن تفتح أبواب العالم الآخر ؛ ثم تأمره بدفن جثة يرى جثة « ميسينوس Misenus » ضارب النفير الذى أحد زملائه • وبعد خروج « أينياس » من كهف العرافة ، أغرقته الآلهة لتحديد اياها بموسيقى نفيزه ، التى كان يلهب بها حماس الرجال فيهبون للقتال ثائرين ، فينفذ أمر الكاهنة فى الحال ويقوم بطقوس الدفن •

٢١٢ ــ وفى أثناء ذلك لم يقل بكاء التيوكرين على الشاطىء •

من أجل ميسينوس ، وقاموا بتقديم الطقوس الأخيرة الواجبة •

للرفات الذى فقد الشعور ، فقد هيئوا له أولا مكانا ضخما للاحراق •

وغنيا بقطع من خشب الأناناس والبلوط ، ونسجوا الجوانب بأوراق قاتمة ، وفى الأمام وضعوا أشجار السرور الجنائزية ، الزينوا الجزء العلوى بأسلحة وضاءة •

أسرع قوم باعداد الماء الساخن فى قدور نحاسية تغلى •

فوق اللهب ، وغسلوا جثمان الميت البارد وضمخوه ٠

ثم علا الصراخ ٠ عندئذ يعيدون وضـــع الجســـد الذى يبكون عليه فوق النعش ، ويلقون عليـه الرداء القرمزى ، ذلك الغطاء المعروف ٠

بينما أخذ قوم آخرون يحملون النعش الضخم على أكتافهم ، وياله من عمل محزن ، ويمسكون شعلة النـار التى توضع الى أسفل ، ووجوههم الى الخلف طبقا لعادة الأسلاف ٠ لقد احترقت قرابين مكدسة من البخور ولحوم الأضحيات والأوانى المفعمة بزيت الزيتون ٠

وبعد أن خمد الرماد وانطفأ اللهب ، رشوا بالنبيذ الرفات المتبقى والرماد الظمآن ، ثم وضع كورينايوس العظام المتجمعة في اناء برونزى ٠

وهو نفسه دار حول خلانه ثلاث مرات ليطهرهم بالماء الهور ، بأن أخذ ينثر الندى الخفيف بغصن من شــجرة زيتون مثمرة : ظهــر الرجــال ثم قال كلمـات الوداع الأخيرة ٠

أما أينياس الورع فقد أقام قبرا ضخما ، ووضع للرجل أسلحتهم الخاصـــة ، الا وهى مجدافه وبوقه ،

تحت تل مرتفع يسمى الآن باســمه ميسينوس ٠

وهو يحتفظ بذلك الاسم الخــالد عبر الدهور ٠

وبعد ذلك يواصل « اينياس » السير بحثا عن الغصن الذهبى ، حتى يتمكن من العثور عليه بمعونة زوج من الحمام أرسلته أمه « فينوس » لتدله عليه وما أن يعثر « أينياس » على الغصن الذهبى حتى ينزعه ثم تتقدم القرابين لآلهة العالم الآخر ·

٢٥٥ لكن انظر ، ها قد بدأت الأرض تخور تحت أقدامهم ·

عند شروق أشعة الشمس ، كما بدأت أرجاء الغابة تهتز ·

وخيل اليهم أن الكلات تعوى خلال الظلام عند مقدم الهة · « ابتعدو ، ابتعدوا يا من لم تطلعوا على الأسرار المقدسة » ·

صاحب الكاهنة ، « ابتعدوا عن كل الغابة ؛

وأنت يا أبنياس شق طريقك واستق سيفك من غمدد ،

فهذا وقت الشجاعة ، وهذا وقت القلب المتين » ··

٢٧٣ أمام المدخل نفسه وفى بداية فتحات أوركوس استقرت الأحزان المنتقمة ،

وسكنت الأمراض الشاحبة والشيخوخة المحزنة ،

والخوف والجوع الذى يدفع المرء الى الشرور ،
والعوز البغيض ،

والموت والكد ، وهى أشكال بشعة المنظر ،

ثم توأم الموت أعنى النعاس ، ورغبات النفس الشريرة ؛

وفى الجهة المقابلة وجدت حاملة الدمار ،

وغرف الايومينيديس الحديدية ، والنزاع المجنون ،

وقد نسج شعره الثعبانى بجدائل دامية ·

وفى الوسط تنشر شجرة دردار ضخمة وارفة الظلام

تنشر فروعها وأذرعتها العتيقة ، وهى التى يزعم العامة أن الأحلام الزائفة تسعى للسكنى بها وتلتصق بكل ورقة منها ·

وبالاضافة الى ذلك ربضت أشكال متوحشة لحيوانات مختلفة ·

. . . . . .

٢٩٥ من هنا يبدأ الطريق الذى يؤدى الى مياه أخيرون الترتارى ·

وهنا دوامة سريعة تغلى بالطمى وباضطراب مائى واسع ،

وتصب كل الرمال فى نهر كوكيتوس · ويرعى هذه المياد وتلك الأنهار ملامح مخوف ،

هو خارون ذو الهيئة الرثة المخيفة ، الذى له لحية كثة بيضاء ·

تغطى عارضيه ، وعيناه تقدحان شررا ،

وتتعلق ثيابه الرثة من كتفيه بعقده ·

وهذا الملامح نفسه يدفع قاربه من أسفل بالمجداف ، ويدير حركته بالشراع ،

ويحمل الأجساد فى قاربه الأزرق الصدىء ، لقد أصبح الآن كهلا ، ولكنه بوصفه الها له شيخوخة صلبة مزدهرة ·

الى هذا الموضع تتدافع الى الشوطىء من كل فج كل تلك الجموع :

أمهات وأباء ، وأجساد أبطال عظام ·

قضت نحبها فى الحياة ، وفتيان وفتيات عذارى ،

وشباب حرقت أجسادهم أمام أعين ذويهم ،

مثلهم كمثل العدد الجم من الأوراق المتساقطة في
الغابات ٠

في أول برد الخريف ، أو كمثل أسراب الطير الذى
تتجمع

من أقصى البحار لتأتى الى اليابسة ، عندما يدفعها
فصل الشتاء ٠

البارد عبد البحار ويبعث بها الى الأراضى الدافئة ٠
لقد رفض « خارون » أول الأمر حمل « أينياس »
والكاهنة فى قاربه ، ولكنه ، عندما رأى الغصن الذهبى
الذى لم يره منذ أمد بعيد ، اقترب بقاربه منهما ، واستقبلهما
مرحبا ٠ وما أن عبر « أينياس » والكاهنة هذا النهر ،
حتى سمعا عويل وصراخ من ماتوا ولم يتجاوزوا مرحلة
الطفولة ، كما مروا بأشباح من وجهت اليهم اتهامات
كاذبة ، وبأشباح من قتلوا أنفسهم ٠ وفى الوديان
الحزينة ٠

يلتقيان بمن ماتوا من قسوة الحب ؛

٤٥٠ وكان من بين هؤلاء ديدو الفينيقية التى لم
يندمل جرحها بعد ،

وهى تتجول فى الغابة العظيمة ٠ وما أن يقف
البطل الطروادى

قريبا منها ويتعرف على طيفها خلال الظلال ،

كمن يرى أو يحسب أنه يرى القمر يطلع

فى أول الشهر خلال السحاب ،

حتى انهمرت دموعه وخاطبها بحب رقيق :

« أى ديدو البائسة ، أهو حق اذن ذلك الخبر الذى

وصلنى بأنك مت ، وأنك لقيت حتفك بحد السلاح ؟

وا أسفاه ! أكنت أنا السبب فى موتك ؟ أقسم بالنجوم ،

وبالسموات العلا ، وبكل ايمان موثوق به فى العالم السفلى ،

بأنى ما رحلت عن شاطئك ، أيتها الملكة ، الا مكرها -

ولكن أوامر الآلهة التى اضطرتنى الآن أن أسير

خلال هذه الظلال عبر الأماكن الوعرة الموحشة فى الليل البهيم ،

وأن أسعى فى طلب مملكتى ، والا أثق فيما أرغب ،

هى التى أجبرتنى على أن أسبب لك مثل هذا الحزن العظيم برحيلى عنك .

توقفى عن السير ، ولا تنأى بنفسك عن ناظرى ·

ممن تهربين ؟ فهذه الكلمات التى أتوجه بها اليك هى آخر كلماتى لك ، هكذا أشاءت الأقدار » ·

بمثل هذه الكلمات حاول « أينياس » أن يهدىء من روع طيف « ديدو » ، ويستدر عطفها ؛ أما هى فلم تتأثر ملامحها من حديثة بأكثر مما يتأثر الحجر الأصم ، وفرت من أمامه كأنه عدو لها واتجهت الى زوجها السابق « سيخايوس » ، ليسرى عن أحزانها ويبادلها حبا بحب ·

يتابع « أينياس » سيره مع الكاهنة حتى يمرا بالأراضى المنعزلة « Arva Ultima » التى يكتظ بها من علت شهرتهم فى الحرب · ومن هناك يرى « اينياس » أسوارا عالية يحوطها نهر « فليجيثون « Phlegethon » المتأجج ، وهذه الأسوار ، كما أخبرته الكاهنة هى أسوار « تارتاروس » سجن من حكمت عليهم الآلهة بالعذاب الأبدى ·

وأخيرا يصلون الى مقر الصالحين « Elysium » حيث يلتقى بروح أبيه « أنخيسيس » ، الذى يكشف له عن سير الأمور فى العالم ، وعن وسائل التطهير التى تمكن البشر من السماح لهم بدخول مقر الصالحين ، كما يخبره أبوه بأنه من هذه الأرض البهيجة « Laeta Arva » سيعود الى العالم الدنيوى بعد ألف سنة بعض الرجال

الذين قدر لهم أن يكونوا هم الرومان العظماء ، ومن بين هؤلاء الرجال أحفاد « أينياس » نفسه ، ويصف له مغامراتهم فى عرض لتاريخ روما متضمنا الامبراطور « أوغسطس » وابن أخته ووريثه « ماركيللوس » الذى اختطفه الموت وهو فى ريعان الشباب عام ٢٣ ق٠م فكتب عنه فيرجيل بتلك المقطوعة الشهيرة (٨٦٠ـ٨٨٦) التى يقال أن أمه الثكلى « أوكتافيا » قد أغمى عليها عندما قرأها « فيرجيل » فى حضرتها ، وقد جاء فى نهايتها (٨٨٢ـ٨٨٦) : وا أسفاه أيها الغلام البائس ، لو تستطيع تحطيم القدر القاسى ،

فسوف تكون ماركيللوس ! هيا أملاءوا يدى بالزنبق ،

دعونى أنثر أزهار البنفسج ، وأكدس على الأقل

أكواما من هذه القرابين على روح حفيدى م، ولأقم

بهذا الواجب البسيط ٠

وفى الكتاب السابع يعود « أينياس » الى رفاقه ويتابعون رحلتهم الى مصب نهر التيبر ، فيزلون باقليم « لاتيوم » الذى كان يحكمه « لاتينوس « Latinus » ٠ وكان لهذا الحاكم ابنة تسمى « لافينيا « Lavinia » وكانت مخطوبة لتورنوس ـ Rutuli ملك الروتوليين

Turnus الذى يسكنون احدى المقاطعات فى نفس الاقليم • ولكن كانت هناك نبوءة تعلن أن الفتاة لابد وأن تتزوج من أمير أجنبى • عندئذ يبعث « أينياس » بسفارة الى « لاتينوس » فيستقبلها بالترحاب ، اذا أيقن أن « أينياس » هو زوج ابنته المرتقب ، وتنشأ بين الطرفين علاقات ودية • ولكن الالهة « جونو » كانت للطرواديين بالمرصاد ، فتثير « تورتوس » الذى يقوم بتسليح أهل لاتيوم الذين اتحدوا مع الروتوليين لمحاربة الغزاة الدخلاء ، تعاونه في ذلك « أماتا » — Amata زوجة « لاتينوس » وأم « لافينيا » ، الأمر الذى يضطر معه « لاتينوس » أن يعلن سخطه عليهم جميعا ويغلق القصر على نفسه •

أما الكتاب الثامن فنرى فيه أن « اللتيير » الأب قد زار « أينياس » فى المنام وأمره بالسعى فى طلب معونه « أفاندر Evander » حاكم مدينة باللانتيوم « Pallanteum » وفى الصباح أسرع أينياس الى « أفاندر » الذى صحبه فى رحلة حول الأرض المقدسة ، حيث قامت « روما » فيما بعد ، كما أراه الغابة الكابيتولينية الكثيفة التى جعل منها « رومولوس » فيما بعد محرا باللآلهة وقد اقترح « أفاندر » على « اينياس » أن يطلب معونة الاترسكيين الذين ثاروا ضد حاكمهم الطاغية «ميزينتيوس» واضطروه الى الخروج من بلادهم • فلجأ الى «تورنوس»،

فقبل « اينياس » الاقتراح ، وخرج الى معسكر الاترسكين ، يصحبه « بالاس Pallas » ابن « أفاندر » • وفى تلك الأثناء استطاعت فينوس أن تقنع زوجها « فولكانوس » أن يصنع لأينياس عدة حربية تتضمن درعا محفورا عليه عرضا لبعض المشاهد المستقبله من تاريخ « روما » حتى معركة « أكتيوم » •

وفى الكتاب التاسع تتمكن « جونو » من اقناع « ايريس Iris » الهة النزاع أن تذهب لتثير «تورنوس» حتى يعمل على انتهاز فرصة غياب « أينياس » ، ويقوم بالهجوم على معسكر الطرواديين ويشعل النار فى معسكرهم • ولكن « نبيتونوس » يحول السفن الى حوريات من عرائس البحر • وبناء على تعليمات « أينياس » التى كان قد تركها لأتباعه قبل رحيله ، يظل الطرواديون خلف الأسوار • وفى اليوم التالى بدأ « تورنوس » الهجوم على الطرواديين من جديد ، وتمكن من اقتحام استحكاماتهم ، ولكنهم قطعوا عليه الطريق ، حتى أنه تمكن من التقهقر بكل صعوبة •

وفى الكتاب العاشر نرى مجلس الأمة الآلهة منعقدا وقد ثار به جدل حاد بين « جونو » و « فينوس » حول مصير الحرب ، ولكن « جوبيتر » قرر ترك الأمر للأقدار • وعلى كل فان « أينياس » تمكن من عقد محالفة مع « تارخون Tarchon » قائد الاترسكيين ، الذين اعتلوا ظهور

أسطولهم ، حتى وصلوا قريبـا من معسكر الطرواديين ، رغم مجابهة « تورنوس » لهم • ونشبت بين الفريقين معركة حامية ، أبلى فيها « باللاس » ابن « أفاندر » بلاء حسنا ، ولكنه قتل فى النهاية بيد « تورنوس » • غيثور « أينياس » ويثأر لمقتله بالقضاء على عدد غير قليل من أبطال الأعداء ، ولكن « جونو » تتمكن من انقاذ «تورنوس» بابعـاده عن الميدان ، فينازل « أينياس » « ميزينتيوس » ويقتله •

يبدأ الكاتب الحادى عشر بعقد هدنة يتم فيها دفن جثث القتلى واقامة الطقوس الجنائزية لهم • ثم يعقـد اللاتين مجلسـا لمناقشة الموقف الحربى ، حيث يقترح أحدهم وضع حد لهذه الحـرب بأن ينـازل « تورنوس » « أينياس » فى مبارزة فردية ، ولكن هذا الاقتراح لم يلق التأييد الكامل أمام نصيحة « تورنوس » بضرورة محاولة القيام بمعركة أخرى • وعلى كل فان هذا المجلس ينفض علي عجل ، اذ وصلته أنباء بأن الطرواديين يهاجمون المدينة ، فيهرع الجميع الى القتال وعلى رأسهم « تورنوس» • بعد معركة طويلة يتراجع اللاتين الى مدينتهم فى فوضى واضطراب •

وفى الكتاب الأخير تعقد هدنة أخرى بين الطرفين ، تيم خلالها انهاء الحرب بمنازلة « أينياس » لتورنوس • ولكن احدى العرائس ، وهى « جوتورنا « Juturna »

أخت تورنوس حرضت الروتوليين على خرق الهدنة بالقاء سهم على « اينياس » فأصابه بجرح عميق · ولكن « فينوس » جعلت الجرح يندمل فى الحال ، بينما شنقت « أماتا » نفسها لاعتقادها أن تورنوس » قد لقى مصرعه ·
وبعد أن صالح « جوبتيير » « جونو » بقراره الذى يتضمن اتحاد الطرواديين مع اللاتين فى أمة واحدة ، اشتبك البطلان « أينياس » « وتونوس » فى القتال · وسقط « تورنوس » ، واذ هو فى النزع الأخير ، يطلب فى رجاء واستعطاف أن يرد جثمانه الى أبيه العجوز ·

وكأن « أينياس » على وشك أن يرق قلبه لهذا « تورنوس » ، عندئذ يصرخ صرخة مدوية ويهوى بسيفه الموقف ، لولا أن رأى حزام « باللأس » حول وسط فيقضى عليه بضربة قاتلة ·

بهذا تنتهى ملحمة « فيرجيل » الخالدة « الانيادة » ، التى ظلت تعتبر لقرون عديدة ، وعلى الأخص فى القرون الوسطى ، أعظم عمل أنتجته عبقرية انسان ، ولم تحظ أى أشعار أخرى ، على الأقل فى العالم الغربى ، بمثل ما حظيت به هذه الملحمة من شهرة واسعة واهتمام بالغ من رجال اللغة والآب · حقيقة أن الانيادة ، باعتبارها ملحمته تصور الحروب والمغامرات ، لا يمكن أن ترقى الى مستوى الالياذة والأوديسا فى قوتها وحيويتها · تشابه كبير من ناحية الشكل يغرى دائما بعقد المقارنات

والواقع أن الانيادة والأشعار الهومرية ، رغم ما بينها من بينها ، تختلف عن بعضها اختلافا كبيرا فى الروح والطبع ، حتى أنه لا ينبغى ، كما أقترح أحد النقاد (٦٣) ، عقد المقارنات بينها ، فالأشعار الهومرية ثمرة نتاج عبقرية فطرية نظمها الشاعر ليتغنى بها أثناء الأعياد والاحتفالات التى كانت تقام فى العصور الأولى تمجيدا للأبطال العظام ، وهى تصف أناسا يعيشون تقريبا بنفس الطريقة التى كان يعيش بها من كتبت الأشعار فى عصرهم ؛ أما « الانيادة » فهى خلق فنى ، كتبها شاعر ينتظر الرعاية من الامبراطور ، ويتوقع النقد من « مايكيناس » وجماعته الأدبية ، وهى تحاول أن تضفى الروح على أشباح الماضى البعيد بحيث تبدو مقبولة لدى أناس يختلفون عنهم تمام الاختلاف فى كل شىء . ومن ثم فان أهم ما يهم « هومر » ومستمعيه هو القصة والأحداث ، ويأتى الشكل الفنى فى المرتبة الثانية ، أما بالنسبة لفيرجيل وقرائه فان الصورة الفنية والأدبية فى المقام الأول ، وتأتى بعدها حقيقة أحداث القصة .

وفى هذه الناحية الفنية لا يشك أحد فى أن « فيرجيل » هو سيد الايقاعات العذبة والتعبيرات الأدبية . فان الوزن السداسى ، الذى كان عند « انيوس »

(٦٣) انظر :
T.E. Page Virgil, Aen. VI, Intr. pp. Xviii-xix.

خشنا غير مصقول ، وعنـد « لوكريتيوس » ،رغم قوته واحكامه ، تنقصه الرشاقة والتنوع ، قادرا على التعبير عن كل العواطف المختلفة • وليس معنى ذلك أن الرشاقة الفنية الظاهرية هى كل شىء عند « فيرجيل » • فالمشاعر عنده عميقة فياضة رغم أنه يحاول السيطرة عليها وكبح جماحها • وان حبه لبلاده واعتزازه بعظمتها وايمانه بان رسالتها فى حكم العالم قدر مقدور لنشر المدنية والسلام يتخلل كل الملحمة تقريبا ويبرز بين عديد من الأبيـات الرائعة •

فشـعبها واسـع السـلطان مـزهو بحـروبه (٦٤)

ويقول على لسان « جويتبير » •

انى لا أضـع حـدودا لمتلكـاتهم أو حـدا زمنيـا لسلطانهم •

فقد منحتهم ملكا لا نهاية له (٦٥) •

ونحن أنفسنا سنرفع الى النجوم أحفادك فى المستقبل

وسنمنح مدينتهم سلطانا (٦٦) •

---

(٦٤) الانيادة ، ١ ، ٢١ •

(٦٥) الانيادة ، ١ ، ٢٧٨ـ٢٧٩ •

(٦٦) الانيادة ، ٢ ، ١٥٨ـ١٥٩ •

تذكر ، أيهـا الرومانى ، أنك تحـكم الشـعوبـ بنفوذك

ستكون لك هذه الفنون

التى تسن بها قانون السلام

وتعفو عن المنهزمين ، وتحارب المتعجرفين (٦٧) .

ولكن رقة « فيرجيل » وحزنه الممزوج بالتفكير العميق هما سر خلوده . فهو يفكر طويلا ، ويتألم من تقلبات القدر وقصر الحياة البشرية ، ولكن حزنه لم ينزل أبدأ الى مستوى اليأس ، فالدرس ، الذى استفاده من أن الموت حق وأن الحياة قصيرة ، هو الدافع الى الايمان بضرورة العمل والكفاح .

لكل انسان يوم معلوم ، وان وقت الحياة قصير لا يعوض بالنسبة للجميع ، ولكن بالأعمال المجيدة

تمتد الشهرة ، وهذا هو عمل البسالة .(٦٨)

ان « فيرجيل » متدين بدرجة عميقة ومؤمن ايمانا جازما بوجود قوة مسيطرة تكافىء الأخيار (٦٩) وتعاقب

---

(٦٧) الانيادة ، ٦ ، ٨٥٣٨٥١ .

(٦٨) الانيادة ، ١٠ ، ٤٦٧-٤٦٩ .

(٦٩) الانيادة ١ ، ٦٠٣ وما بعده .

الأشرار (٧٠) ، ولكنه حائر أمام لغز ذلك القدر المحتوم (٧١) ·

وعلى كل حال فان أعمال « فيرجيل » كانت تقرأ في عصره على نطاق واسع ، حتى لقد أدخلت ضمن المقررات المدرسية فى مدارس الأدب والخطابة (٧٢) ، مما كان له أكبر الأثر لا على الأدب فحسب بل على اللغة اللاتينية كلها ، كما أن أعمالة أصبحت موضوعا للتعليق والتحليل لكثير من النقاد والمعلقين والمهتمين باللغة وكان « دانتى » يعتبره أستاذه ومرشده فى الجزء الخاص بالجحيم (٧٣) ، وبلغ من تقديس الناس لفيرجيل أن اعتبروا أعماله كالأزلام « Sortes Vergilianae » يستهدون بها قبل القيام بأى عمل هام ، كما يفعل العامة الآن بالكتب المقدسة ، كما أن المسيحيين الأول كانوا يرون فى الرعوية الرابعة ما يبشر بظهور المسيحية (٧٤) ·

---

(٧٠) الانيادة ، ٢ ، ٥٣٥ وما بعده ·

(٧١) الانيادة ٨ ، ٣٣٤ وما بعده ·

(٧٢) قارن سويتونيوس ، عن النحاة ، ١٦ ، جوفينال ٧ ، ٢٧٧ دانتى ·

(٧٣) أنظر دانته ، الجحيم ١ ، ٨٥ــ٨٧ ·

(٧٤) قارن :
Duff, op. cit., pp. 351-352; T.E. Page, Virgil, BUC., Intr. pp. xv-xvii.

مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب



مكتبة الأسرة



بسعر رمزى عشرة قروش
بمناسبة
مهرجان القراءة للجميع ١٩٩٤



مطابع
الهيئة المصرية العا...